رسالة الشعر

في دخان اليـــأس...

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

« يقولون : غن الشعر أبيض هادئاً
وكيف تغنى في الهجير البلابل ؟ »

وَقَيَّــــدَ عُمْرِى حُبُّها فى قَرَارَةٍ
من الهَمِّ لا يُرْجَى لها اليَوْمَ ساحِلُ
عَلَيْها دُخَانُ اليَأْسِ سَأْمانُ ، وَاجِمٌ
كَظِيمُ الحَواشى مُقْلَقُ الذَّرِّ ذَاهِلُ
قتامٌ عَلَى أسْدَالِهِ يَمْرَحُ الأسى   وَقَبْرُ المُنَى في ظِلِّهِ يَتَخَايَلُ
وَلِلْخَيْبَةِ الكُبْرَى عَلَى جَنَبَاتِهِ   خَيَالُ لَظًى فِي دُجَى النَّفْسِ مائِلُ
إِذَا أَنَا سَرَّحْتُ الخَوَاطِرَ صَدَّها   وَعادَ بها لُجٌّ مِنَ اليَأْسِ غائِلُ
كأنِّيَ أعمى يَخْبِطُ الكَوْنَ هائماً   عَلَى خَطْوِهِ مِنَ العَصَا تَتَحَايَلُ
سَوَاءٌ لَدَيْهِ حِينَ يَظْمَأُ لِلسَّنَا   عَشَايَاهُ يَتْرَعْنَ الدُّجَى وَالأَصَائِلُ
كأنِّى لَحْنٌ طَاشَ مِنْ كَفِّ عازِفٍ
عَلَى وَتَرٍ جافَتْ هَوَاهُ الأنامِلُ ؟ !
نَزَلْتُ عَلَى الوَادِى وَنَفْسِى كَئِيبَةٌ   وَنَايِىَ مَفْجُوعُ التَّرَانِيمِ ثاكِلُ
وَبِى أَمَلٌ أَنْ يَمْسَحَ الحُبُّ شِقْوَتِى   وَيُوهِنَ مِنْ عِبْئِى الذى أنا حامِلُ
فَعُدْتُ وَبِى قَيْدَانِ : قَيْدُ صَبَابَتِى   وَهَجْرِى وَقَيْدٌ أَحْكَمَتْهُ النَّوَازِلُ
كأنِّي سَجِينٌ سُدَّتِ الأَرْضُ حَوْلَهُ
وَكادَتْ بِساقَيْهِ تَنُوحُ السَّلاسِلُ
فلا الدَّهْرُ أَخْلَانِى وَلا غادَةُ الهوى   أفاقَتْ لِأَشْجَانِى ، فما أنا فاعِلُ ؟
* * *
يقُولونَ غَنِّ الشِّعْرَ أبيضَ هادِئاً   وَكيفَ تَغَنَّى فى الهَجِيرِ البَلابِلُ ؟
وَكَيْفَ وَقلبى لا يُفِيقُ مِنَ الأسى !
وَنَجْمِى إلى أُفْقِ المَنِيَّاتِ مائِلُ !
لَأَقْسَمْتُ ما غَنَّيْتُ شِعْراً ! وَإِنَّما   حُشَاشَةُ رُوحِى بالأسى تَتَهَادَلُ !
* * *
فَيَا غادَةَ الإِلْهامِ وَالشِّعْرِ ! وَمْضَةً   لَعَلَّ بِصَحْرَائِى تَرِفُّ الخَمائِلُ
وَتَحْيا الرُّبى وَالظِّلُّ وَالزَّهْرُ والشَّذَى
وَتَيْنَعُ أيَّامِى ، وَتَصْفُو المَنَاهِلُ
فَنَشْرَبُ مِنْ أَحْلامِنا خَمْرَةَ الهوى
وَيَجْرَعُ مِنْ سُمِّ الهَوَانِ العَوَاذِلُ ...
أَطِلِّى عَلَى دُنْيَاىَ ـ سِحْراً ـ وأَشْرِقِى !
جَبِينُكِ ما أَمَّلْتُ فيها ، وَآمُلُ !
وَذَاتُكِ قُدْسِى وَانْتِعاشِى وَفَرْحَتِى
وَفَنٌّ لِرُوحِى ما وَعَتْهُ الطَّلائِلُ
فَلَا تَتْرُكِى يأسِى يَلِجُّ فَإِنَّهُ
ظَلامٌ لِرُوحِى المُسْتَهَامَةِ قاتِلُ
وَأَخْشَى يُنَادِينِى الرَّدَى فَأُجِيبُهُ
فَيَصْمُتُ طَيْرٌ بالهوى العَفِّ زاجِلُ
وَتَخْرَسُ أيَّامِى ... وَيَنْدَرُ الذى
قَضَى العُمْرَ عَنْ يَوْمِ اللِّقاءِ يُسَائِلُ !